الدفاع عنها كل حر، بغض النظر عن دينه أو طائفته، وفي هذا دعوة لعدم مشاركة الآخرين حتى لو كان الهدف وطنياً.
كما اعتبر أن قضية أفغانستان لا تخضع لما تسمى «الدول المشركة» بحسب وصفه، وما لا يُنكر أن أميركا قامت بجهد كبير لاستغلال القضية الأفغانية ودعم المجاهدين هناك، الذين وصفوا ذلك بـ«تلاقي المصالح».
وسبب آخر، وهو أن الحدود مغلقة أمام المجاهدين والدول العربية تحاربهم وربما تقتلهم. برغم ذلك، فإن المقاومة الفلسطينية تخوض المعركة من الداخل من دون الحاجة إلى فتح الحدود، وحتى لو لم يستطع الشيخ عزام أن يعبر الحدود إلى فلسطين كان بإمكانه أن يؤسس لقواته، في أقرب نقطة، في لبنان مثلاً، حيث كانت تواجه الاجتياح الصهيوني.
أما ما يثير الغرابة، فهو ما تحدث به الشيخ عزام، واصفاً أفغانستان بأنها «شعب فريد في صلابته وعزته، وكأن الله أعد جبالها وأرضها للجهاد». وهذا ما يعبر عن رؤيته لصلاحية المقاومة والجهاد في أرض من دون أرض، فضلاً على أنها تنفي عن الشعب الفلسطيني عزته وصلابته. كما أجاب عن الاتهام الموجه له بإضعاف الجهاد في فلسطين عقب جذب الشباب الفلسطيني والعربي إلى أفغانستان، بالقول: «على الفلسطينيين الهجرة إلى أفغانستان حيث أنهم ستشتد عزيمتهم بالدين هناك، ويمرون بالتجربة العسكرية، والفكر الذي سيساعدهم في تحرير فلسطين».
يمكن القول إن مشروع الشيخ عزام يرتكز على ركنين هامين، أولاً: استغلال الظروف والاضطرابات في أي بلد وتحويله إلى مركز استقطاب، وقد وجد ضالته في أفغانستان آنذاك، وهذا ما نشهده اليوم في العراق وسوريا حيث يتحول الشباب المسلم إلى أدوات تمارس الإرهاب العابر للحدود. ثانياً: تحويل الهجرة إلى تلك الأرض الموعودة إلى فريضة على كل مسلم، عبر الفتاوى وذلك لحشد المقاتلين وعائلاتهم ليكونوا شعباً في الدولة الجديدة.
وقد أنتج ميراث الشيخ عزام، كتائب وفصائل جهادية تحمل اسمه وتلتزم فكره، تصوّب بنادقها يمنةً ويسرةً باستثناء فلسطين، التي لم يفتقدها «المجاهدون»، بل بحثوا عن أراض أخرى لسياحتهم! وكما كانت أفغانستان، تحولت العراق إلى أرض جهاد وانجذب إليها تلاميذ الشيخ عزام الذين شكلوا تنظيم «القاعدة». وبقيت فلسطين خارج الحسابات، وبعيدة عن عيون المجاهدين الذين يرددون مقولة، «نقاتل هنا وعيوننا على بيت المقدس»، قيلت في كابول وبغداد واليوم تقال من دمشق، بعدما نفروا إليها من كل أصقاع الأرض، في أحداث ما يسمى «الربيع العربي»، تحت راية «داعش» وأخواتها، التي خرجت من صفوف «القاعدة».
الذرائع التي كان يتمسك بها الشيخ عزام ورفاقه في تأجيل الجهاد على أرض فلسطين، سقطت. فقد بات «المجاهدون» على مرمى حجر من فلسطين المحتلة، بعد سيطرتهم على مناطق عدة في سوريا. ويملكون من السلاح ما يكفي لضرب العمق الصهيوني وزعزعة أمنه وتهديد وجوده.
يقال إن الشيخ عزام تحدث عن عهد بينه وبين الأفغان، ينص على أنه سوف يتم التفرغ بعد معركة كابول للبدء بمعركة القدس. ويقولون: «إن قضيتنا الأولى هي قضية القدس، ولكن هذه الدواهي التي حلت بنا شغلتنا». ولكن هذه الدواهي التي شغلت الأفغان لم تنته بعد!
ما حدث سابقاً، وما يحدث اليوم، يدلل على أن هناك مشروعاً مشبوهاً لاقتلاع فلسطين من وجدان الأمة، ولذلك نرى تبدّل الأولويات وصناعة الأعداء في المنطقة منذ «سايكس بيكو» والشرق الأوسط الجديد مروراً بـ«الربيع العربي». إن فلسطين هي كاشفة العورات، وأي بوصلة لا تشير إلى بيت المقدس هي بوصلة مشبوهة، ولذلك فإن فلسطين تعرف جيداً ويقيناً مع من تكون.

* باحث فلسطيني

حراز

حراز، صاحب الطريقة الصوفية المعروفة في سيناء، وقد تجاوز عمره مئة عام، لم يجدوا تهمة لذبحه بالسيف إلّا اعتباره كاهناً! هكذا صار كاهناً لمجرد تعلّق الفقراء به وسكينتهم بين يديه، فاعتبروه مرتداً حلال الدم، ولو كان كافراً كفراً أصلياً ما حلّ دمه! هكذا أفتاهم ابن تيمية منذ ستة قرون خلت، فالشيخ الضرير إذا نطق الشهادتين وطبّق شعائرهما ولكنه ابتعد عن الشريعة فصار دمه مباحاً. وعليه؛ فمن يأبى بيعة البغدادي فهو ناقض لأصل من أصول الشريعة يستحق عليها الذبح.
لا تكمن أزمتنا في سكاكين الذبح الداعشية وهي تقطع كل أمل لنا في النهضة والانبعاث الحضاري على هدي الرازي وابن سينا وابن حيّان وابن النفيس، فهؤلاء وفق ماكينة الفرز العقدية مبتدعة ملاحدة زنادقة، أزمتنا تكمن في عقلية التعبّد بالموروث البشري باعتباره ديناً أصيلاً يحرم النظر في أساساته أو حتى بعض مروياته وأحداثه، فمن نحن أمام علم السابقين من السلف الصالح لنزايد على ما أبدعوه لهم ولنا إلى يوم الدين؟ وأحداث التاريخ طهّر الله أيدينا من دمائها فلنطهّر ألسنتنا من إثم بحثها! ولكن عندما يستحضر فقه التوحّش روايات الذبح وأحداث الفتك بالمفكرين وأهل الرأي في العصر الأموي يصبح تاريخنا فعلاً مقدساً للسلف يجب الاقتداء بتفاصيله الدموية من دون تردد.
أزمتنا الراهنة تكمن في صمت العلماء العاملين وجمهور المتدينين الطيبين إزاء عمليات الذبح اليومية باسم الدين، والهروب إلى مربعات أخرى لتبرير الجريمة المتجددة بحق الدين وأهله، بما يجعل هكذا صمت في ظل جعجعة وتخريصات تجاه وسط آخر بما يخدم العار الخليجي الفاضح، يخرج إلى دائرة الاسترخاء بل التأييد المبطن وإن تخللته بيانات يتيمة تدين الذبح والاغتيال بصوت فاتر يدافع عن التراث ويحصر الإجرام بالفعل السياسي دون خلفياته التراثية العقدية.
لن يقف مسلسل الذبح على خلفية الرأي المخالف عند ثلاثة هذا الشهر، وهو يزحف كالوحش المتغوّل منذ سفك دم البوطي والنمر والقيسي، وربما يسفك دماء ذات الهيئات العلمائية التي صمتت وتشفّت ورضيت من طرف خفيّ، فقانون الإجرام لا يرحم أحداً ولن يستثني أحداً، إلّا أن يتحرك هذا العالم بخيره وشرّه ليخنق التنين في مهاده، وليت الخير يسبق حصريّاً ليبعث نهضتنا على أطلال الذبح ومؤامرات تفعيله لتأخذ الأمة أمرها بيدها ولا تبقى عاجزة عن معالجة شرورها إلا بسيف أعدائها.

*كاتب وباحث فلسطيني

ماذا يجري داخل «فتح»؟

بسام ابو شريف *

تتواصل تعارضات وصراعات داخل حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»، لا بل تزداد بتسارع كلما اقترب موعد مؤتمر الحركة الذي طال انتظاره.
نقول طال انتظاره ليس فقط من أبناء «فتح» – الذين ما هتفوا لغيرها – بل من قبل عدد كبير من الفلسطينيين الذين يتوزعون على معسكرين واسعين: أحدهما يؤيد «فتح» التي أطلقت الرصاصة الأولى، ورمزها أبو عمار، والثاني يرى أن السيل بلغ الزبى، وأن الأوان لإنهاء تحكم «فتح» بالقرار الفلسطيني. ونرى كفلسطينيين عرب ملتزمين أن الحديث عما يدور في فتح يجب ألا يفعل فعلاً ميكانيكياً أو فعلاً تعسفياً، وغير منطقي عما جرى في فلسطين خلال فترة انفراد حكم الرئيس محمود عباس، والإصرار على ديكتاتورية الفرد في اتخاذ القرار السياسي والمالي وإلغاء القانون وتهميش القضاء وتحويل القضاة إلى موظفين يتحكم بقراراتهم موظف في مكتب الرئيس محمود عباس.
يجب أن نبقي في الذهن أن هذا الوضع ترافق مع نهج رافض للمقاومة الشعبية للاحتلال، ومتعاون مع أجهزة الأمن الإسرائيلية لضرب واعتقال «كل من تسوّل له نفسه»، مقاومة الاحتلال لدرجة أن معتقلات العدو الإسرائيلي باتت تختنق بكثافة المعتقلين الذين بلغت نسبة الأطفال القصر منهم 15%، وعلينا أن نبقي في الذهن أنه في ظل هذا العقد من حكم الفرد محمود عباس تمادت إسرائيل في كسر كافة الأعراف الدولية والاتفاقيات الأممية وميثاق الأمم المتحدة وقراراتها، تنسف البيوت على رؤوس أهلها، وطردت الأسر من منازلها، وأقامت المستوطنات والبؤر الاستيطانية على أراضي الفلسطينيين.
وأكثر من هذا، صادرت إسرائيل كافة أراضي «الدولة»، أي «الميري»، وهي أراض تركت تحت تصرف السلطان التركي منذ عهد الحكم التركي،

> يتخذ عباس موقف الأب الذي يرى أولاده يتنافسون منتظراً وصولهم إلى طريق مسدودة

وبدأ الانتداب البريطاني الصهيوني في تسريب أجزاء منها للحركات الصهيونية سراً قبل عام 1948، وكذلك قرار نتنياهو الأخير بمصادرة أملاك الغائبين، وهي أراض يملكها الفلسطينيون في مناطق حددت بقرار الأمم المتحدة الذي شكل شهادة ميلاد إسرائيل – «قرار التقسيم»، وذلك يعني مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات وعشرات الآلاف من المنازل في مناطق تمتد من يافا إلى القدس إلى الجنوب والوسط.
هذا التمادي الصهيوني ما كان ليتم لولا نهج الفردية في اتخاذ القرار والوقوف ضد المقاومة وضد الانتفاضة وضد أي مظاهرة شعبية – نهج السيد الرئيس محمود عباس، ونحن نقتبس في تلخيصنا لنهجه ما قاله هو للقناة 2 في التلفزيون الإسرائيلي. بعد هذا دعونا ننظر بشيء من التدقيق لما يجري داخل حركة «فتح»، حيث يتصارع تياران بشكل عام داخل صفوفها: تيار يريد أن تعود فتح إلى ما كانت عليه، أي أن تعود تنظيماً مقاتلاً ضد الاحتلال ولتحرير فلسطين، وتيار يريد التعامل مع واقع الحال الذي وصلت إليه الحركة، ولكن يرغب بانتخاب شخص آخر لقيادة فتح بدلاً من أبو مازن، وأن يكون رئيس فتح هو مرشحها لرئاسة السلطة ورئاسة منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف).
وهنا يبرز الصراع بين أبو مازن ودحلان. فدحلان لا شك يطمع ويعمل ليصبح رئيساً لفتح كخطوة على طريق أن يصبح رئيساً للسلطة، ولا يختلف الاثنان في النهج والتوجه، لكن الأمر يتعلق بقناعة كل منهم بأنه أكفأ أو أقدر من الآخرين.
وفي هذا الإطار، يستخدم محمود عباس موقعه وأدواته في الحرمان أو الاعتقال أو الترميح لضبط الأمور لصالحه ويقوم دحلان باستخدام الوسائل المتاحة له لاستمالة الأعضاء للتصويت له، وحتى الآن ورغم إعادة عدد من الكوادر المحسوبة لصالح دحلان إلى صفوف فتح بعد أن كان رئيس اللجنة المركزية أبو مازن قد منعهم، ولم يتخذ قراراً بإعادة محمد دحلان لصفوف «فتح». ولكن يشير أنصاره إلى أن إعادته لعضوية المؤتمر أمر مؤكد!
أما في صفوف اللجنة المركزية الحالية، فتتراوح المواقف بين معارضة وموالية، لكن هنالك قناعة عامة بأن عهد أبو مازن يجب أن ينتهي، ويشير

من أعمال المؤتمر (أ ف ب)

هؤلاء إلى أن أبو مازن بلغ من العمر عتياً وأنه أصبح غير قادر على قيادة البلد أو قيادة «فتح». وطبعاً لا يتجرأ أحد منهم على الإشارة إلى عمليات الفساد الواسعة ونهب الأموال العامة وأموال فتح كسبب من أسباب التخلص من أبو مازن وأولاده. ويحلو لبعضهم أن يطلق عليه اسم «سوموزا» الشهير، لكن هذا الأمر يجري تغطية الحديث عنه بإسهاب وتفاصيل عبر مواقع الانترنت الخاصة بمحمد دحلان ومحمد رشيد أو خالد سلام، الذي بدأ بنشر سلسلة مقالات عن نهب أموال فتح والشعب الفلسطيني وتسجيلها تحت أسماء مختلفة معروفة بالتصاقها بمحمود عباس منذ أن كان موظفاً في قطر «أبو الرب ـ القاضي». ومن ضمن الأسماء التي تطرح كمرشحة لرئاسة اللجنة المركزية: عباس زكي، أحمد قريع، توفيق الطيراوي، ناصر القدوة، ويطل بين الفترة والأخرى جبريل الرجوب كمرشح محتمل (رغم فضائح الفيفا). ويقول فتحاوي مخضرم: أبو مازن يتصرف بهدوء، فهو يترك أعضاء اللجنة المركزية يتصارعون ويتنافسون ويراقب بصمت، ويتخذ موقف الأب الذي يرى أولاده يتنافسون لكنه ينتظر اللحظة التي يصل فيها كل هؤلاء إلى طريق مسدودة. ولدى أبو مازن من أعضاء اللجنة المركزية من يبدأ في إطلاق شعار (القديم على قدمه) – أي لا خيار لديكم سوى التمديد لأبو مازن، وأن هذه النية كانت وراء تشكيل أبو مازن برغم المعارضة الشديدة لكل التنظيمات، المحكمة الدستورية، فهي التي ستجعل من توجه كهذا شرعياً. وفي ظل هذا، أطلق قائد «الجهاد الإسلامي»، رمضان شلح، مبادرته، ولكن «فتح» مشغولة بمؤتمرها، وليست بصدد البحث عن الوحدة الوطنية، فالحركة الآن تهتم بوحدتها هي المهددة بالتفجر، في ظل وجود أكثر من «فتح» على الساحة الفلسطينية، كل واحدة تتحدث عن نفسها أنها تمثل «فتح». ويقول فتحاوي قديم في رأي آخر: أوفر الأعضاء حظاً هو أبوعلاء ـ أحمد قريع، الذي أخرج من اللجنة المركزية خلال انعقاد المؤتمر السابق للحركة، ويفسر ذلك بالقول إنه يعرف الكثير من الأسرار، وهو أحد مهندسي «أوسلو» مع أبو مازن، وله خبرة في إدارة الأمور كرئيس وزراء سابق، وله ضمن المؤتمر مؤيدون، لكن الشيء الثابت حتى الآن هو أن صراعاً حاداً يجري الآن داخل صفوف «فتح»، وستكون ساحة المؤتمر ساحة المعركة الفاصلة، والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن المواطن هو التالي: الشعب يريد التغيير، الشعب يريد أن يتخلص من الذين أصبحوا من الفاسدين الذين لم تعد قضية فلسطين هي شغلهم الشاغل، الشعب يريد من يقوده لمقاومة الاحتلال للتخلص منه، وانتزاع الحرية والاستقلال، الشعب يريد التصدي للاستيطان والمستوطنين، الشعب يريد أن يعرف كل إسرائيلي عن الجرائم التي ترتكبها حكومته وجيشه كل يوم ضد الأطفال والنساء، فهل يمكن لـ«فتح» أن تعطيه ذلك حتى وإن انتخبت رئيساً جديداً لها بدل محمود عباس؟ يقول شاب من شباب مخيم قلنديه: «السلطة؟ كل اللي فوق همهم الوحيد جيوبهم، لا يهمهم مقاومة الاحتلال. كأنهم جايين ليعبوا جيوبهم ويروحوا لمكان آخر، نحن هنا صامدون وسنقاوم. ملاحظة: الشاب من مخيم قلنديه ويلقب نفسه «حسن نصر الله».

*كاتب وسياسي فلسطيني